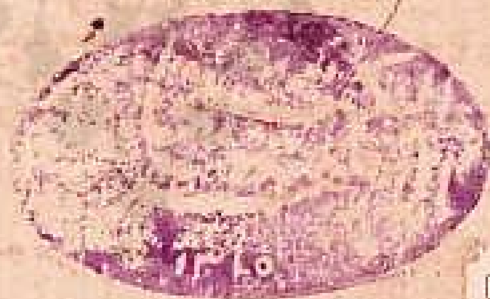
هذه رسالة في الكلام على الحديث الذي
في بدء الوحي من أول كتاب الإمام المحدث
أبي عبد الله البخاري الجعفي رضي
الله عنه نفعنا الله به
عمر ابن الإمام
التجاني
تعالى



وقف واحبس هذا الكتاب الحاج عثمان زدنقان في الأفق
على من ينتفع به من طلبة العلم وقفا صحيحا شرعيا لا يباع ولا يوهب
ولا يورث ولا يبدل فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه
إن الله سميع عليم وجعل ثوابه مع الكاتب كتبه العبد الفقير إلى
رحمة ربه الشكور عفا الله عنه ومن بعده بخط يده
سنة ١٢٥٥





بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها انها قالت اول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة في النوم
فكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان
يخلو بغار حرى فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل
ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها
حتى جاه الحق وهو في غار حرى فجاه الملك فقال اقرا قال ما انا
بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني
الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني
الثالثة ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرا وربك الاكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد
خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله ابدا
انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة
بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن عم خديجة وكان امرا تنصر في
الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية
ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن
عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا
الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون
حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي

وان

وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة الا
ان توفي وفتر الوحي قال ابن شهاب واخبرني ابو سلمة بن عبد
الرحمن ان جابر بن عبد الله الانصاري قال وهو يحدث عن فترة
الوحي فقال في حديثه بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما
فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي بين السما
والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فانزل الله عز
وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
فاهجر فحمي الوحي وتتابع هذا الحديث يحتوي على فوايد
كثيرة من احكام وادب ومعرفة بقواعد جملة من قواعد
الايمان ومعرفة بالسلوك والترقي في المقامات ولاجل ما فيه
من هذه المعاني حدثت به النبي صلى الله عليه وسلم عايشة رضي عنها
الله لتبدي ذلك للناس لكي يتاسوا بتلك الاداب ويحصل لهم
معرفة بكيفية الترقي من مقام الى مقام مع ما فيه من فايدة المعرفة
بابتدا امره عليه السلام كيف كان لان النفوس ابدا تتشوف
الى معرفة مبادي الامور كلها وانشراح الصدور لاطلاع عليها
وكيفيتها لابتدا هذا الامر الجليل الذي فيه من الفوايد ما قد ذكرناه
ويعرف منه مقتضى الحكمة في تربيته وتاديبه ولاجل ما فيه من
هذه الفوايد حدثت به عايشة رضي الله عنها واخذ عنها ونحن
ان شا الله نشير الى شي منها وننبه عليه بحسبما يوفق الله اليه
فنقول الكلام عليه من وجوه الوجه الاول قولها اول ما بدي
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة في
النوم فيه دليل على ان الرويا من النبوة وهي وحي من الله اذ ان اول
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والوحي اليه كان بها وقد صرح
الشارع عليه السلام بذلك في غير هذا الحديث وسياتي الكلام
على المراي وما يتعلق بها والجمع بين متفقها ومختلفها ومجموع احاديثها

الثبج

سوا

في موضعه من آخر الكتاب إن شاء الله **الثاني** قولها مثل فلق الصبح
تريد بذلك صدق الرؤيا وكيف كانت تخرج في تبيين من غير تراخ
ولا مهلة على قدر ما رآه عليه السلام سواء بسواء ولقائل أن يقول
لم خصت صدق الرؤيا بفلق الصبح ولم تعبر بغيره والجواب أن
شمس النبوة كان مبادي أنوارها صحة المرائي وصدقها لما زال النور
ينتعش ويتسع ويتمكن حتى بدا شمسها وهو ما أنزل عليه من الهدى
والفرقان فمن كان باطنه نورانيا كان في التصديق مثل أبي بكر
آمن وصدق ومن كان أعمى البصيرة كان كخفاش زمان الرسالة الشمس
طالعة وهو لا يرى شيئا فإن الخفاش يخرج بالليل ويختفي بالنهار لأنه
لا يبصر مع ضوء الشمس شيئا وبقي لنا ما بين هاتين المنزلتين يترددون
كل منهم يبصر بقدر ما أعطي من النور جعلنا الله ممن أجزل له من
هذا النور وحسن الاتباع أوفر نصيبا بمنته ولأجل هذه النسبة
التي بين ابتداء النبوة وظهورها مع فلق الصبح وقعت العبارة به
ولم تقع بغيره **الثالث** قولها ثم حبب إليه الخلاء فيه دليل على
أن الهداية منه ربانية لا بسبب من بشر ولا غيره لأن النبي صلى الله
عليه وسلم جبل على هذا الخير ابتداء من غير أن يكون معه من يحرضه
على ذلك والخلوة كناية عن انفراد الإنسان بنفسه فحبب إليه عليه
السلام أصل العبادة في شريعته وعمدتها لأنه عليه السلام قال
الخلوة عبادة فالخلوة نفسها فإن زيد عليها شيء من الطاعات فهو التحنث
ومعنى التحنث التعبد فهو نور على نور **الرابع** قولها فكان يخلو بغار حراء
فيتحنث فيه التحنث قد تقدم الكلام عليه وبقي هنا سؤال وارد وهو
أن يقال لم اختص عليه السلام بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون
غيره من المواضع ولم يبدل له في طول تحنثه والجواب أن ذلك الغار له
فضل زائد على غيره من قبل أنه يكون فيه منزويا مجموعا لتحنثه وهو
ينظر بيت ربه والنظر إلى البيت عبادة فكان له اجتماع ثلاث عبادات

وهي الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت وجمع هذه الثلاثة أولى من
الاقتصار على بعضها دون بعض وغيره من الأماكن ليس عنده ذلك
المعنى فجمع له عليه السلام في المبادي كل حسن بادي **الخامس**
قولها وهو التعبد الليالي ذوات العدد وهو التعبد تفسير منها
للتحنث ما هو والليالي ذوات العدد تريد به كثرة الليالي لأن العدد
على قسمين عدد قلة وعدد كثرة فمجموع القلة والكثرة يكون منه
ليالي كثيرة فلذلك كنت عنه بذوات العدد أي مجموع أقسام العدد
وهي جمع القلة والكثرة **السادس** قولها قبل أن ينزع إلى أهله
تريد قبل أن يرجع إليهم فما زال عليه السلام في التعبد تلك الليالي
المذكورة حتى يرجع إلى أهله **السابع** فيه دليل على أن المستحب
في التعبد أن يكون مستمرا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستمر
على عبادته تلك ولم يقطعها إلا لما لا بد منه وسيأتي الكلام عليه ولأن
التعبد إن لم يكن مستمرا فلا يقال لصاحبه متعبد لأنه لا ينسب
المرء إلا إلى الشيء الذي يكثر منه **الثامن** قولها ثم يرجع إلى خديجة
فيتزود لمثلها فيه دليل على أن التبتل الكلي والانقطاع الدائم ليس
من السنة لأنه عليه السلام لم ينقطع في الغار ويترك أهله بالجملة
وإنما كان عليه السلام يخرج إلى العبادة تلك الأيام التي يتحنث فيها ثم
يرجع إلى أهله لضرورتهم ثم يخرج لتحنثه وقد نهى عليه السلام عن
التبتل في غير هذا الحديث فقال لا رهبانية في الإسلام وهذا النهي
إنما هو في من اتخذ ذلك سنة يستن بها وأما من يتبتل لعدم القدرة على
التأهل من قبل قلة ذات اليد أو عدم الموافقة فلا يدخل تحت هذا
النهي **التاسع** فيه دليل على أن العبادة لا تكون إلا مع إعطاء الحقوق
الواجبات وتوفيتها لأنه عليه السلام لم يكن يرجع لأهله إلا لإعطائه
حقهم وكذلك غيره من الحقوق فيجب إعطاؤه وتوفيته وحينئذ ترجع
إلى المندوبات **العاشر** فيه دليل على أن الرجل إذا كان صالحا في نفسه

تابعا للسنة يرجى له ان الله تعالى يؤنسه بالمرائي الجيدة اذا كان في
زمان مخالفة وبدع لان النبي صلى الله عليه وسلم لما انعزل للعبادة
وخلا بنفسه آنسه الله عز وجل بالمرائي الجيدة لما ان كانت تلك
الزمان زمان كفر وشقاق وسيأتي شفاء لهذا المعنى في الكلام على
المرائي ان شاء الله تعالى فالمتبع للنبي صلى الله عليه وسلم يرجى له مثل
ذلك او قريبا منه اعني في المرائي **الحادي عشر** فيه دليل على ان
البداية ليست كالنهاية لان النبي صلى الله عليه وسلم اول ما بدئ
في نبوته بالمرائي فما زال عليه السلام يرتقي في الدرجات والفضل
حتى جاءه الملك في اليقظة بالوحي ثم ما زال يرتقي حتى كان كقاب
قوسين او ادنى وهي النهاية فاذا كان هذا في الرسل تحقق به في
الاتباع لكن بين الرسل والاتباع فرق وهو ان الاتباع يرتقون في مقامات
الولاية ما عدا مقام النبوة فانهم لا سبيل لهم اليها لان ذلك قد طوي
بساطه حتى ينتهوا الى مقام المعرفة والرضا وهو اعلى مقامات الولاية
ولاجل هذا يقول اهل الصوفة من نال مقاما فدام عليه بادبه ترقى
الى ما هو اعلى منه لان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ اولا في التحنث
ودام عليه بادبه الى ان ترقى من مقام الى مقام حتى وصل الى مقام
النبوة ثم اخذ في الترقي في مقامات النبوة حتى وصل به المقام الى
قاب قوسين او ادنى كما قد تقدم فالوارثون له بتلك النسبة من
دام منهم على التأدب في المقام الذي اقيم فيه ترقى في المقامات حيث
شاء الله عدا مقام النبوة التي لا مشاركة للغير فيها بعد النبي صلى الله
عليه وسلم يشهد لذلك ما حكي عن بعض الفضلاء انه من عليه باتباع
السنة والادب في السلوك يتادب في كل مقام بحسب ما يحتاج اليه
من الادب فما زال يترقى من مقام الى مقام اعلا منه حتى يرى بسره
من سماء الى سماء الى قاب قوسين او ادنى ثم نودي ههنا يرى بذات محمد
السنية حيث سرى به ذلك **الثاني عشر** فيه دليل على ان التربية

للمريد

للمريد افضل من غير المربي لان النبي صلى الله عليه وسلم اول نبوته كانت في
المنام فما زال يرتقي حتى كملت حالته وهو عليه السلام افضل البشر
فلو كان غير التربية افضل لكان اولى بها من غيره **الثالث عشر**
فيه دليل على ان الاولى باهل البداية الخلوة والاعتزال لان النبي صلى
الله عليه وسلم كان في اول امره يخلو بنفسه فلما انتهى عليه السلام
حيث قدر له لم يفعل ذلك وبقي يتحنث بين اهله وصار حاله الى انه
اذا سجد غمز اهله فتضم رجليها حيث يسجد وفي البداية لم يمكنه
عليه السلام ان يعتزل عنهم في البيت حتى خرج للغار على ما تقدم ٠٠
الرابع عشر فيه دليل على ان الخلوة عون للانسان على تعبده وصلاح
دينه لان النبي صلى الله عليه وسلم لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه
اتاه هذا الخير العظيم وكل احد اذا فعل ذلك اتاه الخير بحسب ما قسم الله
له من مقامات الولاية **الخامس عشر** فيه دليل على ان التسبب
في الزاد ودخول المعتكف والخلوة او التوجه به لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يخرج الى التحنث بما يصلحه من زاده للعيش طول مقامه
فيه والحكمة في ذلك ان الخروج بالزاد فيه اظهار لوصف العبودية
وافتقارها وضعفها لان المرء ابدا ليس له قوة على تلك الامور الا باعانة
من الله سبحانه وتعالى والخروج بغير زاد فيه شيء من الادعاء وان كان لم
ينطق به ولم ينوه فيخاف على فاعل ذلك ان يكله الله الى نفسه فيعجز
عن توفية ما اراد في وجهته ولاجل هذا المعنى كان بعض اهل الصوفة
من شدة ملاحظته للسنة اذا دخل لخلوته وتعبده اخذ رغيفا من
خبز والقاه تحت وسادته ويواصل الايام العديدة ولا ياكل منه
شيئا فراه بعض تلامذته كذلك فاخذ الرغيف من تحت الوسادة ثم
تفقد الشيخ الرغيف فلم يجده فصاح على من لاذ به صيحة منكرة واغلظ
عليهم فيها فخلوه فقال الوالي ليس لك به حاجة لم تتخذه هنالك فقال لهم
اتظنون ان ما ترون من قوة هي مني بل بفضل من الله وسنة ا رايتم

إن رُدّت إلى حال البشرية كيف تفعل لكان يعمل على حال ضعفه
والعادة الجارية التي يقدر البشر عليها وما كان من غير ذلك
يراه فضلا من الله عليه وهو حامله كله ذلك عملا على ما أشرنا إليه
أولا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا وجه آخر من الحكمة وهو
أن الخروج بالزاد من باب سد الذريعة لأن الزاد إذا كان حاضرا
لم يبق للنفس تشوق ولا تعلق **وقد** جاء في الحديث أن النفس إذا
كان معها قوتها اطمأنت فهذا مع الإيمان بوجود القوت من حكمة
وجهه وإلا فالله هو الرزاق ذو القوة المتين وقد كان عليه السلام
عند عدم القوت من وجهه يربط على بطنه ثلاثة أحجار من شدة
الجوع والمجاهدة ولا يتسبب في الزاد ولا ينظر إليه **السادس**
عشر فيه دليل على أن المراد إذا خرج لتعبده أن يعلم أهله ومن يلوذ
به بموضعه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى الغار وأهله
يعلمون بموضعه وبما يريد بخروجه والحكمة في ذلك من وجوه
الوجه الأول أنه معرض هو وأهله لما يطرأ عليهم من غيرها من الأعراض من الامراض
فإذا كان للأهل علم بموضعه علموا إلى أين يذهبون إليه إذا طرأ شيء
من ذلك الثاني أن في إخبار الأهل إدخال سرور عليهم وإزالة
للوسواس عنهم لأنهم يتوقعون مصيره إلى مواضع مختلفة ممكنة
فإعلامه لهم بذلك إزالة لما ذكرناه وإدخال السرور عليهم بكونهم
يعلمون أنه منقطع للتعبد ومشغول به وفي إدخال السرور من
الأجر والثواب ما قد علم الثالث ما في ذلك من الدعوة للأهل
والإخوان للتعبد وإن كان لم يطلب ذلك منهم لأن الخالي من النفوس
الانبعاث لما يتكرر عليها من الأمور الرابع أن من عرفته منقطعا للتعبد
ومشغولا به فإن أراد صحبته صحبه على ما هو بسبيله من غير أن يدخل
عليه خللا في طريقه ومن أراد غير ذلك تركه وحده فاستراح منه وزال
عنه ما يلحقه من التشويش في مخالطته **الوجه** السابع عشر
فيه

فيه دليل على أن الشغل اليسير الضروري لا يكون قاطعا للعبادة لأنها
أخبرت أنه عليه السلام كان يخرج إلى التعبد الليالي العديدة ولم
تذكر ذلك في رجوعه إلى أهله فدل أن ذلك عنده كثير وهو اليسير
في حكم التبع ثم رجوعه ثانية إلى التعبد دال على تعلق قلبه بالعبادة
ما دام في الضرورة التي خرج إليها فهو متعبد مستمر ومثل ذلك المعتكف
يخرج لحاجة الإنسان وشراء القوت وحرمة الاعتكاف عليه دائمة وحكم
له الآن أنه معتكف متوحد وإن كان يتصرف فيما ذكرناه يشهد لما قررناه
قوله عليه السلام سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر
فيهم رجل قلبه متعلق بالمساجد فلم يخرجه خروجه عنها لتعلق قلبه
بها وأجزل له هذا الخير العظيم ولأجل هذا المعنى اتخذ أهل الصوفية
في عمارة قلوبهم بالحضور والأدب على أي حالة كانوا من شغل مباح أو تخل ع
نفل كما صفت بواطنهم تسموا باسم الصوفية مشتق من الصفا **الثامن**
عشر قوله حتى جاءه الحق تريد بدء الوحي لأن العرب تسمي الشيء بمباديه
وتسمي البعض بالكل والكل بالبعض **التاسع** عشر قوله فجاءه الملك التورية ع
فقال اقرأ فيه دليل على جواز التورية وفيه إظهار شيء والمراد غيره
لأن جبريل عليه السلام كان يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ
ولكن قال له ذلك ليتوصل به إلى ما يريد من التأديب على ما سيأتي
وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل إذا أراد أن يخرج إلى جهة كان ع
يغزوها ورّى بغيرها وكذلك فعلت عائشة رضي الله عنها على ما
سنبينه في حديث الإفك إن شاء الله تعالى لكن يشترط في هذه التورية
أن لا يقع للغير ضرر ممنوع شرعا لأن جبريل عليه السلام لم يفعل ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ضرر بل كان في ذلك مصلحة له على ما نذكر
بعد لأنه لو كان التأديب بغير سبب لكان في ذلك زيادة في النفور
والوحشة فانظر مع السبب والتلطف في الأدب كيف رجع عليه

السلام يقول زملوني زملوني ولولا ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم
من الشجاعة وما مده به من العون ما استطاع على تلقي ذلك لان الامر
جليل العشرون فيه دليل على ان امر السائل اذا كان يحتمل امرين
وجهين او وجوها فانه يجاوب المسئول على الاظهر من الاحتمالات ويترك
ما عداها لانه لما ان كان لفظ جبريل عليه السلام يحتمل طلب القراءة
من النبي صلى الله عليه وسلم ابتدا وهو الاظهر ويحتمل طلب القراءة
منه لما يلقي اليه وهو المقصود وفي هذا الموضع لما ظهر بعد لجاوبه
النبي صلى الله عليه وسلم على اظهر الوجوه وهو المعهود من الفصحا في
تخاطبهم الحادي والعشرون قوله اقرا باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم فيه دليل لمن ذهب من
العلما ان اول الواجبات الايمان دون النظر والاستدلال وان
النظر والاستدلال شرط كمال لا شرط صحة لان قوله اقرا باسم ربك
امنت به العايدة وحصل به الايمان المجزي وقوله بعده الله الذي
خلق خلق الانسان من علق هو طلب النظر والاستدلال وهو زيادة
كمال الايمان لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام تحمل الناس ايمانا
ولم يفرض الله عز وجل على الناس على السنتهم الا الايمان المجزي وبقي
كمال الحجة الله لمن يشا من ابناء جنسهم بما قررناه قوله عليه السلام
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث فلم يطلب
منهم الا النطق بكلمة الاخلاص ولم يتردد في ذلك نظرا ولا استدلالا
الثاني والعشرون لقايل ان يقول لم انزلت هذه الاية اولا قبل غيرها
من اي القران اعني قوله عز وجل اقرا باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اقرا وربك الاكرم والجواب ان نقول ان كان ذلك
تعبدا فلا بحث وان كان ذلك لحكمة تعقلية يحتاج الى البحث فيها
ومعنى قولنا تعبدا اي تعبدنا الله بذلك ولم يطلعنا على الحكمة فيها

واما

واما الامر في نفسه فلا بد فيه من حكمة وهو عز وجل يعلمها ومن شا
اطلعه عليها وظاهرها لنا هذه انها الحكمة فيهم وتعرفهم من لفظ الاي
بيان ذلك ان هذا الكلام دل بمنطوقه وما يتضمن من الفوايد على ما
تضمنه القران اجمالا وبيانه ان كل ما كان في القران من ايات الايمان والتو حيد
والتنزيه دل عليه مضمون اسم الربوبية وما كان فيه من الامر والنهي
والترغيب والترهيب والندب والارشاد والمحكم والامر المتشابه دل
عليه مضمون مقتضى حكمة الربوبية وما كان فيه من استدعا الفكرة
والنظر والاستدلال وما اشبه ذلك دل عليه متضمن مقتضى قوله
الذي خلق خلق الانسان من علق وما كان فيه من الرحمة والمغفرة
والايناس والانعام والترجي والاحسان والاباحة وما اشبه
ذلك دل عليه متضمن كرم الربوبية فلما كان بعد هذا الاجمال نزلت
الاية بحسب ما احتيج اليها مبينة بالنص لما تضمنه هذا الكلام الجليل
من الاجمال فلما كملت معاني ذلك الاجمال تبيينا وتفسيرا قال تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم اي ما اجملته لكم اولا اليوم اكملته لكم في التنزيل
مفصلا لان متضمن الكلام يقتضي قبله اجزا والاجزا هو ما اشرنا اليه
من الاجمال فكان الاول مصدقا للثاني والثاني مصدقا للاول ومنه
قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا الثالث
والعشرون في الاية شبه لحاله والاشارة بالتسلي للنبي صلى الله
عليه وسلم والصبر عند نزول الحوادث والوعد له بالنصر والظفر لانه
تشبيهه عليه السلام الان منفردا في اول امره بتشبيهه في خلقته اولا علقة
فالاشارة الى الامتحان بانتقال العلقة بالتطور حتى رجع بشرا سويا
للخروج الى هذه الدار وهي دار المجاهدات فالاخراج مقابله الخروج
والتطويرات مقابلها التغييرات والاشارة في اللطف به بالالطاف
في اخراجه من ظلمة الحشا بلا تعب ولا اذى وتنبيه اللطف له بالغذا
مثل اجرا اللبن له من بين فرث ودم بلا تعب ولا عنا والاشارة في النصر

والظهور وربما ترى بعد ذلك الضعف من جمال القوى والعقل والتفرق
ودفع المضار وجلب المنافع فلم تقدر تلك النظوبات حين صار امرهم
الى هذه الحال لكن لك خروجه عليه السلام الان بالضعف لانه وحمله
فيما ياتي به يدعوا الشيء لا يتبعونه ولا يعرف العوايد التي جرت بضد ما
يدعوا اليه فكانه عز وجل يقول له في ضمن ذلك يا محمد لا تهتم لشيء من
ذلك فان العاقبة بالنصر لك وبالظفر يؤيده ما اشرنا اليه قوله
تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه
فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
فاسلي به بالضمن فيما نحن بسبيله صرح له به في هذه الاية لانه عز وجل
مثل بالزرع الذي يخرج وحده او لا منفردا ثم اخرج شطأه اي افراخه
فاستوت الافراخ والاصل وتلاحقت بالسنبل فنورت واتبعت فاعجب
الزراع واغاظ الكفار فسبحان القادر على ما يشاء كيف شاء وبهذه الاشارة
تعلق اهل الصوفية فاخذوا في الاتباع في الاقوال والافعال وفي كل
الاحوال ولم يلتفتوا الى ضعفهم ولم يخرجوا على عوايد غيرهم ومرادهم
على ذلك يقينا قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين فاتبعوا النصرة وجدوا في الطلب فاخرجهم ما وعدوا كما
اخرج ذلك لنبيهم صلى الله عليه وسلم ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون فانتبه ان كنت لبيبا الفهم المعنى الغريب واسلك الطريق
النجيب فان بيت توجد انكشاف غبار الواقعة بين ذلك قدر ما حققت
وفيما ظاهرت **الوجه الرابع** والعشرون قوله فغطني حتى بلغ مني
الجهد يريد انه ضمه اليه حتى بلغ منه الجهد والجهد عبارة عن شدة الغط
والضم **الخامس** والعشرون فيه دليل على المبالغة في التاديب
ما لم يؤد ذلك الى المحظور لان شدة الغط مبالغة في التاديب وقد
امر عليه السلام بذلك وحض عليه فقال لان يؤدب احدكم ابنه خير له
من ان يتصدق بصاع طعام فجعل عليه السلام التاديب اعلا من الصدقة

وهي

وهي من افعال البر بحيث لا يخفى موضعها وبه يستدل اهل الصوفية
على تاديب النفس اجل من تاديبها لابن شهد له ذلك قوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومجاهدة النفس هو تاديبها ونرجع هذا
التاديب بالهداية في سبيل الحق ولا يوخذ هذا القدر من الخير بغيرها من
افعال الطاعات فلما ان كان في التاديب هذا الخير العظيم بدي به النبي
صلى الله عليه وسلم على القاعدة التي قررناها وهو انه عليه السلام بدي
في المبادي بكل حسن بادي **السادس** والعشرون فيه دليل على جواز
التاديب من المعلم للمتعلم لان جبريل عليه السلام ضم النبي صلى الله عليه
وسلم تاديبا له حتى يحصل له التاديب لما يلقى اليه لكن يكون التاديب
اعني تاديب جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم تاديب حبيب فكان
بالضم والغط لا بالضرب والاهانة **السابع** والعشرون فيه دليل
لمن ذهب من الفقهاء على انه ليس للمؤدب ان يضرب فوق الثلاث لان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكن له هذا التاديب الا ثلاثا **الثامن** والعشرون
فيه دليل على ان كتاب الله تعالى لا يوخذ الا بقوة لان جبريل عليه السلام
ضم النبي صلى الله عليه وسلم اليه ليلتقي الامر باهبته ويأخذه بقوة وقد قال
عز وجل ليحيى عليه السلام خذ الكتاب بقوة فهناك بالقول وهنا
بالفعل والامر **التاسع** والعشرون فيه دليل على ان كلام الله عز وجل
حين نزوله ثقيل يشهد لذلك قوله عز وجل انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا لشدة الغط هنا تدريج لحمل الثقل **الثلاثون** فيه دليل
على ان اتصال جرم الغاط بالمغطوط وضمه اليه يحدث له في الباطن قوة
نورانية متشعشعة تكون عونا على حمل ما يلقى اليه لان جبريل عليه السلام
لما اتصل جرمه بذات محمد النبيه حدث له من ذلك ما ذكرناه وهو حمله
ما القي اليه وقوته بسبعه منطا بالملك ولم يكن قبل له ذلك ووجد
ذلك اهل المراشد من اهل الصوفية المتبعين المتحققين حتى انه حكي
عن بعض فضلائهم انه اتاه ناس يتفقدون عليه فابى عن اجابتهم وكان

قوله اهل الصوفية [illegible]

[illegible]

بحضرته رجل من العوام راغبا لعلمه فدعاه الشيخ فضمه اليه ثم قال له
اجب هو لا عما سالوا عنه فاجاب الرجل وابلغ في الجواب بما اورده واعليه
سايله فبقي يتفصل ويمنع ويجاز حتي قطع من حضره من الفقهاء في البحث
ثم دعاه الشيخ فضمه اليه فاذا هو قد رجع الي حالة الاول لا يعرف شيا لسره صح
فقال الرجل يا ايها السيد ان الفقراء اذا وسوا شيا لا يرجعون فيه فقال
له نعم هو كذلك ولكن ليس لك تشبثه في ذلك الشان لم يترتب بخير وكان
كذلك فهذا قد وجد في هذه سنة بشر لبشر وهو وارثه فكيف بملك مسه
بجسد الموروث سعيد الروح الامين **الواحد** والثلاثون لقايل ان يقول
قد اختلف العلماء هل البشر افضل من الملايكة [illegible] تحصيل القوة
او بالعكس علي قولين فعلي قول من يقول بان البشر افضل من الملايكة فتحصيل
ان تحصيل القوة للافضل بملك مسه المفضول والجواب انا لا ننظر هنا الي
الافضلية بالذوات وانما ننظر هنا من قبل المعني وهي موجودة هنا لان
جبريل عليه السلام كان حامل كلام الله عز وجل في ذلك الوقت فحصلت
له الفضيلة لاجل ما احتمل والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده من
القران اذ ذاك شي ويشهد لهذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اجود
الناس واجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القران
فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من الريح
المرسلة **الثاني** والثلاثون فيه دليل لاهل الصوفة حيث يقولون
ان التحلي لا يكون الا بعد التخلي لان النبي صلى الله عليه وسلم تخلا اولا حتى
لا يبقي من مجهوده غاية فلما ان كانت تخليته افضل واشرف من تخلي غيره
والبشر قاصر عن التخلي ضاعفه جبريل عليه السلام حتى حصل له تخليا من
نسبة ذلك التحلي ولذلك قال حتي بلغ مني الجهد لان التخلي هو ضمه اليه
حتي بلغ من مجاهدة النفس الغاية والتحلي هو القا الوحي اليه وفي هذا دليل
علي ما قدمناه وهو ان من دخل في الطريق بالتربية والتدريج افضل ممن
لم يكن له ذلك لان هذا كله تربية وتدريج للنبي صلى الله عليه وسلم فكان

علي

عليه السلام يرقي في مقام حتي يحكم ادبا لاول ويفهم معناه وما احتوي
عليه من الفوايد ولاجل هذا المعني الذي اشرنا اليه كان الناس ينتفعون
علي يد من كان مربيا وقليل من ينتفع علي من كان دخوله بغير ذلك
الثالث والثلاثون لقايل ان يقول لم كان الغط ثلاثا ولم يكن اقل
ولا اكثر والجواب من وجهين الاول ان البشرية فيها عوالم مختلفة فمنها
العقل وموافقه وهو الملك ومنها النفس والطبع والشيطان وموافقهم
وهو الهوي والغفلة والعادة المذمومة وهي اشد لقول الامم الماضية
انا وجدنا اباءنا علي امة فلم يجدوا حجة الا بالعادة الجارية فيهم وفي ابايهم
وقد قالت الاطبا ان العادة طبع خامس فكانت الثلاث غطات منزهة
لتلك الخصال الثلاثة وموافقيها وبقي العقل والملك الذين هما قابلان
للحق والنور وان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحققت انه المكرم علي
الطهارة ابتدا ونزعت من قلبه علقة الشيطان واعين علي شيطانه حتي اسلم
وجبل علي كل خير ومكرمة لكن هذه الثلاث غطات مقابلة لتلك الثلاث
ان لو كانت هناك لانها من اوصاف البشرية وهو عليه السلام ومثل ذلك
قوله عز وجل وثيابك فطهر وثيابه عليه السلام كانت طاهرة علي كل
التاويلات لكن هذا مقتضي الحكمة في تكليف البشرية وترقيها وهو عليه
السلام الاصل لكل خير والشرع له فعومل علي ما يقتضيه البشرية لهذا
المعني الوجه الثاني ان الايمان علي ثلاث مراتب ايمان واسلام واحسان
فكانت الثلاث غطات مبالغة في التخلي كل رتبة في التخلي مقابلها درجة
في التحلي حتي كمل اعلا الايمان وهو الاحسان لانه من ضرورات الانبيا
عليهم السلام ان يكون ايمانهم اقوي من ايمان اتباعهم لان مقامهم اجل وارفع
الرابع والثلاثون فيه دليل علي ان التحلي علي ضربين مكتسبة ووهبي
من الله سبحانه وتعالي فالمكتسب مثل ما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الخلوة في الغار والتحنث فيه والوهبي هو ما لقي بسببه من الغط

والصمم فقد يكون من السالكين من يخلصه بالكسب لا غير وقد يكون تخليصه بالفيض
لا غير مثل إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وغيرهما وقد يجمع لبعضهم
بين الحالتين كلتاهما فيكتسب ويفاض عليه كما فعل للنبي صلى الله عليه
وسلم وكثير ما هم وهو فضل الله يؤتيه من يشاء **الخامس** والثلاثون
قوله اقرأ باسم ربك يريد اذكر اسم ربك وفيه دليل على أن الإنسان
إنما يخاطب أولا بما يعرف أنه يحصل في فهمه بسرعة من غير مشقة ولا كلفة
يحتاج إليه لأن الله عز وجل قد أحال نبيه عليه السلام أولا على أن ينظر
في خلق نفسه بقوله عز وجل خلق الإنسان من علق ولم يقل له الذي
خلق السموات والأرض والأفلاك وغير ذلك وإنما قال له ذلك بعد
ما تقرر له خلق نفسه وما هو عليه وحصل له من المادة الإلهية ما
يتسلط به على ذلك **السادس** والثلاثون فيه دليل على أن الفكرة
أفضل الأعمال لأن في ضمن قوله تعالى خلق الإنسان من علق ما يستدعي
الفكرة فيما قيل حتى يحصل للمخاطب بذلك علم قطعي وإيمان صادق وليس
الإيمان والتصديق بعد التفكر كالإيمان به بديهة وهذا المعنى أشار عليه
السلام بقوله تفكر ساعة خير من عبادة سنة وفي رواية خير من عبادة
الدهر لأن المرء إذا تفكر قوي إيمانه وبان له الحق واتضح وبقدر تعمقه في
الفكرة يقوى الإيمان وهذا المعنى قال بعض الفضلاء أنا أوصيك بأن تدم
النظر في مرآة الفكرة مع الخلوة فهناك يتبين لك الحق **السابع**
والثلاثون فيه دليل على أن المتفكر إذا تفكر في عظمة الله وجلاله ينبغي
أن يتفكر عقبه ذلك في عفو الله وكرمه وإحسانه لأن قوله عز وجل
خلق الإنسان من علق معناه ما تقدم وهو استدعاء الفكرة فيما تقرر عليه
وذلك يقتضي العظمة والإجلال ثم قال عز وجل بعد ذلك اقرأ وربك
الأكرم وهذا الاسم يتضمن معاني الأسماء كلها الموجبة للطف والإحسان
نسأل الله بمنه أن يعاملنا بمقتضى منته والحكمة في تقدم الفكر في عظمته

الله دون ما يضادها أن المتفكر إذا تفكر فيها وحدها قد يخاف عليه لئلا يذهب
به الخوف في بحر التلف وهو القنط فإذا أعقبه بالتفكر في مقتضى الرحمة
والإحسان أمن من ذلك **الثامن** والثلاثون فيه دليل على أن من أصابه
أمر فله أن يتداوى بحسب ما اعتاده ما لم يكن فيه حرام لأن النبي صلى الله عليه
وسلم لما أن أصابه الرعب رجع إلى ما اعتاد من التدثير بقوله زملوني زملوني
وقد قال عليه السلام تداوي كل نفس بما اعتادته **التاسع** والثلاثون
قولها فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده رجع بها يعني حفظها
فظاهره هنا ابتدأوا بها لفظ لسرعة الحفظ لما ألقى إليه والرجف كناية عما
لحقه عليه السلام من الخوف والوجل والفؤاد كناية عن باطن القلب لأن الخوف
والفزع فيه **الأربعون** قولها فأخبرها الخبر فيه دليل على أن الاختصار في
الكلام هو المطلوب وأنه هو الأولى لأنها ذكرت خبره مع الملك فأعادت
الضمير عليه ولم تحتج في إطالة الكلام بإعادة ذلك الملك ثانية وهو
من فصيح كلام العرب **الواحد** والأربعون قوله عليه السلام لقد خشيت
على نفسي خشيته عليه السلام هنا تحتمل وجهين أحدهما أن يكون خشيته
من الوعك الذي أصابه من قبل الملك فخشي أن يفضي بالمرض من أجل ذلك
الثاني أن تكون خشيته عليه السلام من الكهانة وهو الأظهر لأنه عليه السلام
كان يبغض الكهانة وأهلها فلما جاءه الملك ولم يصرح له بعد بأنه نبي و
رسول لأنه قال له اقرأ وتلى عليه الآية وليس في ذلك ما يدل على أنه نبي أو
رسول خشي عليه السلام إذ ذاك أن يصيبه من الكهانة شيء لأنها كانت في زمانه
كثيرة وهذا منه عليه السلام كثرة مبالغة في الاجتهاد وتحري في الأفعال
لأنه قد صح أن الحجر كان يخاطبه قبل ذلك ويشهد له بالرسالة والمدر والشجر
كذلك وقد أخبره بعض الرهبان بذلك لكن بعد هذا كله لما أن أصابه عليه
السلام هذا الأمر وهو يحتمل الوجهين أحدهما ضعيف والآخر قوي فترك
الأدلة التي ظهرت قبل لم يترك الوجه المحتمل وإن كان ضعيفا حتى تحقق

بطلانه بتخييل وبه يستدل اهل الصوفة في الوانع اذا وقع لهم تحميل
لوجهين او وجوه واحدها بعينها فتمد الوجوه الاخر من البشرات التي يحثون والوجوه صح
على النبي الذي يحيا فوز منه وان كان ضعيفا بالنسبة الى غيره بتهديدها فرناه
من ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت خشيته من الكهانة بجواب خديجة اليه
وكيف رفعته الى ورقة فلو كانت خشيته عليه السلام من المرض لما كان
جواب خديجة اليه بتلك الالفاظ ولما احتاج ان يشير عليه السلام
لورقة الثاني والاربعون قول خديجة له عليه السلام كلا والله لا يخزيك
الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق فيه دليل على ان من طبع على افعال الخير لا يصيبه مكروه
هذا اذا كان ذلك طبعا واما من لم يكن له ذلك طبعا وكان يستعملها
تبرعا له ما دام يفعلها ان لا يصيبه مكروه لان النبي صلى الله عليه وسلم
لما طبع على تلك الاوصاف الحميدة حكم له بانه لا يصيبه مكروه للعادة ان صح
التي اجراها الله من كان في تلك حاله وقد قال عليه السلام صنائع المعروف
تقي مصارع السوء الثالث والاربعون فيه دليل على جواز الحكم
بالعادة لكن ذلك بشرط شرطناها وهو ان لا يقع بذلك خلل في الامر
والنهي لان خديجة رضي الله عنها حكمت بما اجرى الله من عادته فيما ادعته
ولم يعارضها في ذلك شيء مما ذكرناه الرابع والاربعون فيه دليل على ان
للمرء ان يحلف على عادة اجراها الله تعالى وجل لعباده لان خديجة رضي
الله عنها حلفت على ما تقدم الخامس والاربعون فيه دليل على ان المرء
اذا اصابه امر مهم فله ان يحدث بذلك اهله ومن يعتقد من اصحابه
اذا كانوا اذا دين ونظر لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقع له ما وقع حدث
به خديجة رضي الله عنها وهي في الدين والنظر السديد والعقل الرشيد
بحيث لا يخفى السادس والاربعون فيه دليل على ان من ادعى شيئا
فعليه ان ياتي بالدليل على صدق دعواه وان كانت تشهد له ادلة على

مقالته

مقالته ولذا ما يستدل لزايدا على تلك الادلة فليات به اولى ليقوي ما ادعاه
وان كان صادقا في نفسه مصدقا عند غيره لان خديجة رضي الله عنها كانت
في الصدق والتحري حيث كانت وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تعهد بقولها
حيث كان على ما تقرر من احوالهم وعلم ولكن بعد ذلك كله لما ان قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم والله ما يخزيك الله ابدا لم تقتصر على ما ادعته حتى اتت
له بالادلة التي هي سبب ما اخبرت به من محامده عليه السلام ومآثره ثم لم
يقنعها تلك الادلة حتى ذهبت معه الى ورقة نصرة لدعواها حتى ثبت ما
ادعته بغير شك ولا احتمال السابع والاربعون فيه دليل على ان المرء اذا
وقع له واقع ان يسال عنه اهل العلم والنهى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان وقع
له ما وقع ذهب الى ورقة الذي هو اعلم اهل زمانه وافضلهم بعد النبي صلى الله
عليه وسلم الثامن والاربعون فيه دليل على جواز خروج المرأة مع زوجها لان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع خديجة رضي الله عنها الى ورقة وقد روي عنه
عنه عليه السلام انه خرج مع عياله بليل بعد الرسالة فلقيه بعض الصحابة
فقال لهم انها صفية لكن ذلك بشرط يشترط فيه وهو ان يكون فيها باحتشام التزيينة
وفي ما تقتضيه الزينة الستر وغير ذلك التاسع والاربعون فيه دليل
على ان من وصف امرا فلا يزيد على ما فيه من الصفات الحميدة شيئا لان خديجة
رضي الله عنها اخبرت عن ورقة بما كان فيه من المحامد ولم تزد عليها الخمسون اهل صح
فيه دليل على ان العقل والتودد اذا استشار والارفع في ان يباد بالمستشار
في عونهم ومشاركتهم لان خديجة رضي الله عنها بادرت الى الخروج مع النبي صلى
الله عليه وسلم حين استشارها من غير ان تقول له امضي الى ذلك الواحد
والخمسون فيه دليل على ان المرء اذا عرضت له حاجة عند اهل الفضل فالسنة
فيه ان يتقدم اليهم من يدل عليهم ان وجد ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمض
وحده لورقة وانما مضى مع خديجة رضي الله عنها التي من قرابته ورقة الثاني
والخمسون فيه دليل على ان من كان سفيرا بين اهل الفضل ان يجتهد في كلامه
بينهم ويعطي لكل واحد منهم مرتبته ومنزلته لان خديجة رضي الله عنها قالت

لورقة اسمع من ابن اخيك فخبرا بها على منزلة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الخطاب بنفسه
لان العرب تقول لمن فوقها اب ولمن هو مثلها اخ ولمن هو دونها ابن فاستعملت هي ابن
الاخ لانه اصغر للنبي صلى الله عليه وسلم فانها لو قالت ابن كان يقتضي ان يقع المسمى بالاب
على المسمى بالابن لان النبوة اخص رتبة من منصب الابوة ولو قالت اخ لم يكن ذلك
حق لان الاخوة تقتضي المماثلة في السن على عادة العرب فاعطت لكل ذي حق حقه
وعرفته في لفظها لان العرب كانت عادتهم في الخطاب ان يكلم عليهم وهو صغير في
السن يناديه بابن الاخ لان العم ليس لهو على ابن اخيه مثل ابنه **الثالث** والخمسون
فيه دليل على التقدم في الكلام من اهل الفضل نيابة عنهم وتربيعا لهم لان خديجة
رضي الله عنها بادرت في الكلام لورقة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لخدمته له وتكريما
الرابع والخمسون فيه دليل على ان الوقائع اذا وقعت لا امر فيها اولى ان يحدث بها العالم
من غيره لان خديجة رضي الله عنها قالت لورقة اسمع من ابن اخيك وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم حدثها بالواقع فلم تحدث به ولحالة على صاحبه لفضيلته **الخامس**
والخمسون قول ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى الناموس عند العرب هو صاحب سر
الخير اي صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر وفي هذا دليل للوجه
الذي قدمناه وهو الحكم بالعادة التي اجراها الله عز وجل لعباده وان يخلعه عليها
لان ورقة انما اخبر بان الذي هو له انما ان ذكرت له الصفات والعلامات الا
لما يعهد من عادة الله عز وجل ان يرسل الا للنبيين والمرسلين **السادس** والخمسون
فيه دليل على ان لا بأس ان يتمنى الخير لنفسه لان ورقة تمنى ان يكون جذعا في
زمن ارسال النبي صلى الله عليه وسلم فينصره والجذع عند العرب هو الشاب وقد اختلف
العلماء في ايمان ورقة فمن قايل يقول لم يحصل له الايمان بعد لانه لم يبلغ زمن
الرسالة ومن قايل يقول قد حصل له الايمان وهو الاظهر لانه تمنى ان يحضر النبي صلى
الله عليه وسلم ومن جملة النصرة ان يكون على طريقته وقد حصل له الاقرار بالرسالة
حيث قال هذا الناموس الذي نزل الله على موسى فاقر ان الله عز وجل موجود وانه هو
الذي يرسل جبريل عليه السلام الى انبيائه عليهم السلام وهذا هو الذي يمكن في
ذلك الوقت لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ارسل بعد **السابع** والخمسون فيه
دليل على ان العالم بالشيء يعرفه ما لم يجري العادة قبل ان يحكم بالمثال اذا راى

البادي

المبادي لان ورقة لما ان علم ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل اليه علم انه لابد له من ان
يجزم فيصدق المبادي على حقيقة التناهي لان تلك عادة اجراها الله عز وجل في خلقه
في احد من رسله على ما ذكر وفي هذا دليل لما قدمناه من الحكم بالعادة على الشرط الذي
ذكرناه **الثامن** والخمسون قوله عليه السلام أَوَمخرجيّ هم فيه تعجبا منه عليه السلام كونهم
من اشرفهم وافضلهم وهم يخرجونه ويعترفون له بالفضل والسؤدد حتى انه كان اسمه
عندهم الصادق والامين فتعجب منه عليه السلام التعجب على ما يقتضيه العقل والنظر والقياس
وهو ان من كان رفيعا واتي بزيادة في رفعته زاد له في الترفيع والحرمة ولم يكن عليه
السلام يعلم العادة المستمرة وهو ان كل ما اتى الناموس بخير مخالف وما تالف وان كان
من خير فتعتقده نعافه ونطرده وقد قال الله عز وجل حكاية عنهم فانهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون **التاسع** والخمسون فيه دليل على ان التجربة تعطي
علما زايدا على العلوم لا يلحق بالعقل ولا بالنظر ولا بالقياس لان النبي صلى الله عليه
وسلم اقتضى نظره ما قدمناه لكونه اطرد الحكم وقاس عليه على الوجه الذي بديناه
وورقة اخبر بما جرت به العادة وافادته التجربة ولذلك قال لم يات احد بمثل ما
جئت به الا عودي موافقة منه للنبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى العقل والنظر والقياس
وبيان الحكم بما جرت به العادة وافادته التجربة ولاجل هذا المعنى اوصى لقمان لابنه
بذلك فقال يا بني عليك بذوي التجارب **الستون** قوله ثم لم ينشب ورقة ان
توفي يريد ان ورقة لم تطل حياته لوقت الرسالة بل اخترمته المنية قبلها **الواحد**
والستون قوله وفتر الوحي يريد ان الوحي ابطى بعد هذه المرة والحكمة في ابطائه
هي ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حصلت له روعة اولا عند نزول الملك عليه على ما
تقدم فكان الابطا بعد ذلك لكي يتمهد عليه السلام من روعته ويبقى بنفسه
المكرمة مشوقة لمثله كما روي عنه عليه السلام حين ابطأ الوحي عنه كثرا شيا في
عوده حتى لقد كان يروم ان يلقي بنفسه من شواهق الجبال **الثاني** والستون
قوله عليه السلام فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي بين السما
والارض هذا اظهار قدرة من الله عز وجل اذا اراد شيا فانما يقول له كن فيكون
فلما جعل عز وجل الارض لبني ادم يتصرفون فيها لينتشروا فكذلك جعل الهوا

للملائكة يتصرفون فيه كيف شاؤوا فالذي امسك الارض لمن يمشي عليها هو الممسك
للهوى لمن يمشي عليه ليس في قدرته علة المعلول لكن ذلك يخفى عن الابصار وانما
اري ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ترتيبا له وترقيا ليتقوى الايمان واليقين
فيرجع له علم اليقين عين يقين وكذلك خرق العادة للمباركين اصحاب الطيرات
اذا راوه باعينهم قوي ايمانهم وازداد يقينهم وكان ذلك تربية لهم وترقيا في
مقامات الولاية الثالث والستون قوله عز وجل يا ايها المدثر انما سماه
عز وجل بذلك من جهة الايناس له والتلطف به لان عادة العرب ان تسمي الانسان
بالحالة التي هو فيها الا من جهة الايناس والتلطف به ومنه قوله عليه السلام
لعلي رضي الله عنه قم ابا تراب لانه كان في وقته ذلك مضطجعا على الارض
فسماه بذلك من جهة التلطف والايناس الرابع والستون فيه دليل على
انه عليه السلام امر بالانذار حين نزول لو حجه عليه من عذر ان في ذلك ولا انتظار
ولانه اتى بالفاء في قوله فانذر وذلك يفيد التعقيب والسبب الخامس
والستون لقائل ان يقول النبي عليه السلام قد ارسل بشيرا ونذيرا فلم امر في
هذه الاية بالانذار دون البشارة والجواب انه انما امر بالانذار اولا لان
البشارة لا تكون الا لمن دخل في الاسلام ولم يكن اذ ذاك من دخل فيه وفيه
دليل لما قدمناه من ان خشية النبي صلى الله عليه وسلم كانت من اكبر ما به لانه لا احتمال
ما بقي له عليه السلام الاحتمال الذي ذكرناه بقي على خشيته وروعه فلما ان
صح له بالرسالة وامر بالانذار زال عنه ذلك فقام عليه السلام من حينه مسرعا
للامر ليس به باس السادس والستون قوله عز وجل وثيابك فطهر قد اختلف
في معناه فمن قائل يقول المراد به القلب ومن قائل يقول المراد به الثياب
التي تلبس وهذا هو الاظهر والله اعلم لانه قال بعد ذلك والرجز فاهجر ومعناه
طهر قلبك من الرجز والرجز هو الاصنام وغير ذلك مما كانت العرب تعبده فاذا
حملنا قوله عز وجل وثيابك على القلب فيكون التطهير يعود على القلب مرتين
وليس من الفصيح فان قال قائل نحن نجعله التاكيد قيل له الفائدة في الفاظ الحكيم
والحديث انه مهما امكن حملها على كثرة الفوائد كان اولى من الاقتصار على بعضها ولا نقتصر

علي

على بعض الفوائد الذي يدل عليها اللفظ ويترك بعضها الا لمعارض منعها وهاهنا ليس
لنا معارض في الحمل على الفائدتين المتقدمتين بيان ذلك ان هذا الخطاب كان ظاهره للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد امته لانه عليه السلام كان طاهرا مطهرا خلق على ذلك وربي فيه
وطبع عليه ولكن دخل عليه السلام في الخطاب مع امته من قبل انه كان يفعلها اولا على الندب
اتيتهما امر به الان من التعبد ثم صار الان على الوجوب كالصبي يصلي اول النهار على الندب
ثم يصلي اخره على الوجوب اذا بلغ من يومه السابع والستون قوله عز وجل ولا تمنن
تستكثر قد اختلف العلماء في معناه فمن قائل يقول معناه لا تبطل صدقتك بالمن وهو من
قوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ومن قائل يقول لا تمنن بكثرة العطا
منك من العبادة ومن قائل يقول معناه لا تعطي الهدية لان تاخذ عليها وعقلكم جار
على اللغة التي قررناها وهو ان الخطاب للامة وهو عليه السلام المتلقي للخطاب والعمل
يحتمل الحمل عليها بينها الثامن والستون فيه دليل لاهل الصوفة في قولهم باستعمال
العمل وترك الالتفاتة ودوام الاقبال والحضور والعمل لان النظر الى كثرة العمل يحدث
الكسل كما تقدم فكيف يؤدي الى ان النظر لغير العمل ومنه قولهم الوقت سيف يريدون ان
انقطع الوقت بالعمل لا لئلا يقطعك بالتسويف ولان الالتفات للحظوظ وكثرة العمل
وغير ذلك هلاك والسالك اذا التفت الى ما يرائك كان هلاكه التاسع والستون
قوله عز وجل ولربك فاصبر معناه اصبر على عبادة ربك ومنه قوله عز وجل
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين لان الشان في العبادة الدوام والصبر
عليها ولهذا المعنى كان عليه السلام اذا عمل عملا اثبته وواظب عليه السبعون
قد اختلف العلماء في هاتين الايتين ايتهما انزلت قبل صاحبتها بعد اتفاقهم على انهما
اول ما انزلت من القران اعني اية المدثر واية اقرا فمن قائل يقول اية المدثر ومن قائل
يقول اية اقرا وكلاهما والله اعلم حق لانه يمكن الجمع بينهما بان يقال اول ما انزلت
التنزيل اية اقرا واول ما نزل من الامر بالانذار في التنزيل اية المدثر ومثله قوله
عليه السلام اول ما يحاسب به العبد الصلاة وقوله عليه السلام اول ما يقضى فيه
الدماء وهذان ايضا حديثان متعارضان ويمكن الجمع بينهما على ما قررناه في الجمع
بين الايتين وهو ان يقال اول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة واول

بالحكم فيه من المظالم التي بين العباد في الدما فصح الجمع بين الايتين والحديثين
بمثل الذي ذكرناه والله اعلم الواحد والسبعون قوله تعالى حمي الوحي وتتابع
يدل انه كثر نزوله بعد نزول هذه الاية ولم ينقطع ولقايل ان يقول لم عبر عن
تتابع نزول الوحي بهذا اللفظ ولم تعبر بغيره والجواب انه انما عبر به لذلك
تتميما للتمثيل التي مثلت به اولا وهو كونها جعلت الرويا التي قبل الرسالة
من الرسالة ودرجة منها على ما تقدم فنسبة الروي التي قبل الرسالة كنسبة انصداع
الفجر من طلوع الشمس كما تقدم اول الحديث لان الفجر اذا بدا يزيد ولا ينقص فكذلك
انتشارها وكثرة ظهورها اعني الرسالة كما ان الشمس في ارتفاعها وظهور نورها
وكثرة حرها لان ضوء الشمس لا يشتد ولا يمكن الا مع قوة حرها عند استوايها واذلك
قالت حمي الوحي وتتابع على مقتضى تلك الزيادة لم ينقص لانها شبهت بالفجر والشمس
اذا استوت في كبد السما اخذت في النقص في حرها والحر هنا عبارة عما تضمنه التنزيل
من النور والهدى فمن ثم قالت حمي ولم تقل تتابع لان لا يتمثل بالشمس في كل الجهات لان الشمس
يلحقها الافول والكسوف وما اشبه ذلك فافادت بقولها ان النور والكمال والتوالي والبيان
والنافع باق على الحال ابدا وشبهت به لم يلحقه نقص بعد ذلك وفي هذا المعنى
دليل لاهل الصوفة حيث يقولون شمس كل مقام بحسب حاله لان شمس النبي صلى الله
عليه وسلم نزول القران عليه ثم كذلك شبهت التبعة في الوارثين له فشمس المريد علمه
وشمس الصديق معرفته وكل مقام شمسه بحسب حاله فاحذر ان ترى ياخي عليك
ان تثير سحايب شهوتك فتغطي على شمس حالك فتحجب زلتك قدمك فتدخل في
ضمن قوله عليه السلام لا يختلس الخلسة حين يختلسها وهو مومن اي كامل
الايمان لان تغطية نور الايمان نقص فيه اعاذنا الله من نقصه وادام لنا كماله حتى
يقبضنا اليه بمنه وصلى الله على محمد واله وسلم تسليما

وكان الفراغ من كتابة هذه الورقات الشريفة في يوم
السبت المبارك ثالث عشر شهر جماد
الاخر ١١٤٥
تم

[illegible]